## المحاضرة الرابعة عشر : أدب التراجـــم و الســـيّـــر

**1)تمهـــيد:**

يعد أدب التراجم والسير من أهم الفنون الأدبية التي **تهتم** بحفظ أخبار حياة الناس البارزين، سواء من العلماء أو الأدباء أو القادة أو الشخصيات المؤثرة في المجتمع. فقد اعتنى العرب منذ القدم بتوثيق حياة هؤلاء الأشخاص لتعليم الأجيال، وحفظ التاريخ، ونقل القدوات والمثل العليا.

كما أن دراسة السير والتراجم تساعدنا على فهم البيئة الاجتماعية والثقافية والفكرية للشخصيات التاريخية، ومعرفة كيفية مواجهة التحديات وتحقيق الإنجازات. لذلك، أصبح هذا الأدب مصدرًا مهمًا للتاريخ والأدب معًا، يجمع بين الفائدة العلمية والجانب الأخلاقي والتربوي.

**2)تعريف أدب التراجم و السّير :**

**أ- الترجمة :**

الترجمة هي فن كتابة نبذات عن حياة الشخصيات البارزة، تتضمن معلومات أساسية عنهم مثل :مولدهم، ونشأتهم، وتعليمهم، وإنجازاتهم، وفضائلهم، ووفاتهم، مع التركيز على أهم ما يميزهم في العلم أو الأدب أو السياسة أو الدين.

وقد تتعرّض الترجمة أيضا للظروف السياسية و الفكرية و الاجتماعية التي أحاطت بحياة المترجم له لتبيان مدى تفاعله معها ،و تأثيرها على تفكيره و سلوكياته.

**ب-السّيرة :**

السيرة هي فن أدبي يروي حياة الشخص بشكل كامل ومفصل، يبدأ عادة من مولده ونشأته، مرورًا بمراحل حياته وأعماله وإنجازاته، وصولًا إلى وفاته، مع التركيز على الأحداث المهمة

والمواقف التي عاشها والصفات الشخصية والعبر المستفادة من حياته .وتتميز السيرة بالشمولية، والأسلوب القصصي الممتع، وإظهار شخصية الإنسان وبيئته الاجتماعية، بالإضافة إلى تقديم الدروس والعبر التي يمكن أن يستفيد منها القارئ.

و من أشهر السّير التي كتبت في التاريخ الإسلامي سيرة الرسول صلى الله عليه و سلم ،التي كتبها ابن هشام ،واستغرقت أربعة مجلدات كاملة.

**3)نشأة أدب التراجم و السّير و تطوّره :**

بدأت نشأة أدب التراجم والسير في العالم الإسلامي مع الحاجة الملحة إلى توثيق حياة الشخصيات البارزة ونقل أخبارهم للأجيال القادمة، سواء كانوا من الصحابة أو التابعين أو العلماء أو الأدباء، وذلك لتعظيم قدرهم، والاستفادة من تجاربهم، والاسترشاد بفضائلهم وأخلاقهم.

وقد كان أول من دوّن السيرة في التاريخ الإسلامي هو ابن إسحاق (151هـ)، الذي جمع أخبار حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم جاء ابن هشام (213هـ)ليقوم بتحقيقها وتقديمها بأسلوب منظم، فكانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لابن هشام أول سيرة مكتوبة، تحتوي على سرد كامل لحياة النبي منذ مولده، مرورًا بمراحل الدعوة الإسلامية، والأحداث الكبرى في حياته، وصولًا إلى وفاته، مع التركيز على الدروس والعبر الأخلاقية والاجتماعية والدينية.

ثم ظهر كتاب الطبقات الكبير لمحمد بن سعد البصري الزّهري (230هـ)،المشهور بابن سعد الذي يعدّ من أهم الكتب التي ألّفت في الطبقات و تراجم الرجال ،يعد مرجعا في السيرة النبوية و التراجم والتاريخ،حيث تناول فيه مؤلفه السيرة النبوية المطهّرة ،عارضا لمن كان يفتي بالمدينة المنورة ،و لجمع القرآن الكريم ،ثم قدّم تراجم الصّحابة و من بعدهم التابعين و بعض الفقهاء و العلماء،و قد بلغ عدد الأعلام المترجم لهم 4725،و هذا الكتاب من أقدم الكتب التي وصلت إلينا من كتب التواريخ الجامعة لرواة السنة النبوية ،و هو مرتّب على الطبقات.

برزت كتب التراجم الخاصة بالصحابة بشكل كبير في العصور الإسلامية الوسطى، حيث سعى العلماء إلى جمع وتوثيق حياة الصحابة وأخبارهم وأفضالهم بأساليب متنوعة ومنهجية ومن أهم هذه الكتب الموسوعية التي اعتُبرت مراجع رئيسية .تاريخية وعلمية.

-الاستيعاب في معرفة الأصحاب للإمام ابن عبد البر (ت 463هـ: يُعد من أوائل الكتب التي جمعت تراجم الصحابة، واعتمد فيه على مراجع كثيرة وموثوقة، مع التركيز على جمع الأخبار والأحاديث المرتبطة بالصحابة.

- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (ت 630هـ): كتاب موسوعي ضخم جمع بين الكتب السابقة ورتّب تراجم الصحابة على الحروف الأبجدية، مما سهّل الوصول إلى المعلومات وساعد الباحثين في تتبع حياة الأعلام في يسر.

-الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ): يُعتبر من أهم الأعمال الموسوعية في هذا المجال، حيث جمع فيه ما كتبه السابقون وأضاف إليه تراجم جديدة وتفاصيل دقيقة، مع التركيز على الموثوقية والتحقق من الروايات.

لم يقتصر أدب التراجم على كتب السيرة والتاريخ الصرف، بل ظهر أيضًا ضمن الأعمال الأدبية والتاريخية، حيث كانت بعض المؤلفات تجمع نوادر وأخبار وترجمات ضمنية لشخصيات مهمة، سواء من الخلفاء أو الأدباء أو الشعراء، من أبرز هذه المؤلفات:

- البيان والتبيين للجاحظ، والعقد الفريد لابن عبد ربه: يحتويان على نوادر وأخبار وأشعار عن الخلفاء والولاة والأدباء، مع التركيز على الجوانب الأدبية والفكرية لشخصياتهم.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام: يضم تراجم للشعراء والأدباء في الأندلس، ويبرز مواهبهم الأدبية وأعمالهم الشعرية والنثرية.

-طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي: يجمع تراجم أبرز الشعراء مع ذكر فضائلهم وأشعارهم، ويركز على تقييم مكانتهم الأدبية والفكرية.

-الشعر والشعراء لابن قتيبة: يقدم تراجم موسوعية للشعراء العرب، مع استعراض أشعارهم ونقد أدبي لأعمالهم، موضحًا أثرهم في الأدب العربي.

-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري: يتناول تاريخ الأندلس وأعلامها، ومنهم لسان الدين بن الخطيب، مع سرد مزيج من الترجمات الأدبية والشعرية والتاريخية.

وتتميز هذه المؤلفات بأنها تمزج بين الأدب والتاريخ والترجمة، فتقدم للقراء صورة متكاملة عن الشخصيات من خلال أحداث حياتهم وأعمالهم، سواء كانت سياسية أو أدبية أو اجتماعية، مما يجعلها مرجعًا غنيًا لفهم الحياة الثقافية والتاريخية في عصرها.

**4)التراجم و السير في العصر الحديث:**

شهد الأدب العربي الحديث اهتمامًا متزايدًا بكتابة السّيرة الذاتية، أي السيرة التي يروي فيها الشخص نفسه أحداث حياته وتجربته الشخصية، سواء على الصعيد الاجتماعي أو الفكري أو المهني. وتعد هذه التراجم و السير من أهم مصادر دراسة الفكر والأدب العربي الحديث، لأنها تجمع بين التجربة الشخصية والسرد الأدبي والتحليل الذاتي للأحداث،و من أبرز هذه التراجم و السير :

- الأيام لطه حسين: سيرة ذاتية خالدة تحكي حياة المؤلف منذ الطفولة، ومعاناته مع العمى، ومسيرته التعليمية والأدبية بأسلوب أدبي ممتع.

- حياتي لأحمد أمين: يروي فيه قصة حياته وتجربته الثقافية والفكرية بأسلوب جذاب وشيق.

- سبعون لميخائيل نعيمة: سيرة ذاتية تجمع بين التجربة الفردية والتأمل الفلسفي في الحياة.

– أنا لعباس محمود العقاد: سيرة ذاتية تحليلية، يوضح فيها أفكاره الأدبية والفكرية وتجربته الشخصية.

**5)خصائص أدب التراجم و السّير :**

**أ الترجمة** :يتميز أدب التراجم بعدة خصائص أساسية تميّزه عن غيره من الفنون الأدبية، وهي:

–الإيجاز والاختصار :التركيز على أهم المعلومات عن حياة الشخص مثل النسب، المولد، الأعمال والإنجازات، الوفاة، دون الدخول في تفاصيل حياتية كثيرة كما في السيرة.

–الدقة والموثوقية :الاعتماد على مصادر موثوقة وأخبار صحيحة لتجنب الأخطاء التاريخية أو المعلومات المغلوطة.

–التركيز على الفضائل والإنجازات :إبراز أهم الصفات الإيجابية للشخص، مثل الشجاعة، العلم، الأدب، أو المواقف البطولية.

–الترتيب المنهجي :غالبًا ما تكون التراجم مرتبة زمنياً أو حسب الطبقات أو الحروف الأبجدية لتسهيل الوصول إليها.

–الاختصاص بمجال معين :بعض كتب التراجم تركز على علماء الدين، شعراء، أدباء، أو شخصيات سياسية، بما يجعل كل كتاب ذا هدف محدد وواضح.

–المزج بين التاريخ والأدب :على الرغم من التركيز على المعلومات الواقعية، إلا أن الترجمة غالبًا ما تستخدم أسلوبًا أدبيًا جذابًا لجذب القارئ وإيصال المعلومات بطريقة شيقة.

**ب السيرة** : يتميز أدب السيرة بعدة خصائص تجعله مختلفًا عن التراجم، وهي:

-الشمولية :تغطي حياة الشخص من مولده حتى وفاته، مع الاهتمام بجميع مراحل حياته وتجربته الشخصية والمهنية والاجتماعية.

-السرد القصصي :تعتمد على أسلوب سرد ممتع يشبه القصة لجذب القارئ، مع وصف الأحداث والمواقف بطريقة حية.

-إظهار الشخصية والبيئة :تهتم بالكشف عن صفات الشخص وأخلاقه وأفكاره، بالإضافة إلى البيئة الاجتماعية والثقافية التي عاش فيها.

-التحليل والعبرة :تقدم الدروس والعبر من حياة الشخص وتجربته، مما يجعل السيرة ذات قيمة تربوية وأخلاقية.

-التفصيل والعمق :على عكس الترجمة، السيرة تقدم تفاصيل دقيقة عن حياة الشخص، مواقفه، وأحداث حياته المهمة.

-التوثيق التاريخي :على الرغم من الطابع الأدبي، إلا أن السيرة غالبًا ما تحتوي على معلومات دقيقة وموثوقة عن الأحداث والشخصيات.